

مكانة المسجد في المجتمع

﴿الدكتور. بوعبد الله غلام الله﴾ (*)

ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم⁽²⁾.

فالتعبد إذن من صلب المجتمع وطبيعة في الإنسان وما هذه الكنائس والمعابد والمساجد التي تعمر الأمصار إلا تعبيراً عن هذه الحاجة الغريزية الطبيعية.

ولو قام السلطان بهدم جميع المعابد ورد الناس عنها لصنعوا لأنفسهم معابد وسجدوا فيها.

وانطلاقاً من هذه الملاحظة بنينا نظريتنا في مكانة المسجد، فقد اعتبرنا المسجد مؤسسة اجتماعية موجهة لإرضاء حاجة اجتماعية تماماً مثل بقية المؤسسات الاجتماعية الأخرى، فهو مثل القضاء والإدارة والأمن والتربية إلخ...

وإذا كان المسجد مؤسسة اجتماعية، فما هي العلاقة التي يجب أن تقام بينه وبين بقية المؤسسات الاجتماعية الأخرى؟

إن العبادة جبلة في الإنسان عرفها قبل أن يرسل الله الرسل لهداية البشر، وقد أشار إليها الله في القرآن الكريم، حيث قال (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ قالوا بلى شهدنا)⁽¹⁾. وما دور الرسل إلا أن يبينوا للناس ما هي العبادة الحقّة والفرق بينها وبين العبادة الفاسدة.

فالعبادة الحقّة ما كانت متوجهة إلى الله سبحانه وتعالى اعترافاً بربوبيته وطمعاً في مغفرته ورضوانه، أما العبادة الزائفة فهي ما كانت متوجهة إلى مخلوق لا ينفع ولا يضر أو ما كانت غايتها حصول منفعة عاجلة دنيوية لم يأمر بها الله، وقد استنكر القرآن هذا النوع من العبادة وقال عن القائمين بها (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة

لاشك أنها علاقة التكامل، وليس علاقة التصادم.

فإذا أدت كل مؤسسة وظيفتها المتمثلة في الحاجة الاجتماعية التي دعت إليها فلاشك أن الانسجام يتم في البناء المجتمعي، وتكون هذه المؤسسات مثل الجوارح في الجسم لكل وظيفته في خدمة العضوية التي تبلغ درجة الاعتدال عندما تؤدي كل الأعضاء وظائفها.

فكما لا يمكن أن تؤدي جراحة ما - مثل العين مثلاً - وظيفة جراحة أخرى مثل الأذن فكذلك لا ينبغي لمؤسسة اجتماعية أن تخرج عن وظيفتها لتؤدي مهام مؤسسة أخرى، ولا حتى أن تدخل إحدى المؤسسات في صراع مع مؤسسة أخرى أو معها جميعاً، كما وقع عندنا في الجزائر خلال الثمانينات حيث أصبح المسجد معادياً لكل المؤسسات الاجتماعية الأخرى، وحيث كانت المؤسسات الاجتماعية الأخرى تقصي المسجد وتخرجه من دائرة الاعتبار، وما أدى إليه ذلك من اختلال في توازن المجتمع. إن خروج مؤسسة المسجد عن بقية مؤسسات الدولة ومناصبها العداء لم يكن حدثاً اعتباطياً لا سبب له.. وإنما كان من أهم أسباب تلك الظاهرة تمهيش المسجد وترك منبره خلاء لكل من هب ودب.

فاستغل المخربون هذا الفراغ وأحدثوا في المجتمع تلك الهزة التي لم تبلّ الجزائر منها بعد، والتي ما تزال آثارها الدامية تؤلم مجتمعا وما تزال جراحه العميقة تنزف بها.

إن السياسة التي اتبعناها منذ أن تولينا هذه المهمة الشاقة والدقيقة في نفس الوقت، مهمة تسيير الشؤون الدينية يمكن تلخيصها في عملية واحدة هي رد المسجد إلى المجتمع، ومحاولة إقناع القائمين على المساجد بأنهم جزء لا يتجزأ من المجتمع، ومحاولة إقناع القائمين على بقية مؤسسات الدولة بفتح الباب ليلتحق المسجد بالمجتمع، ولا ينبغي أن يبقى خارجاً عنه ليسير إلى جانبه مادام الوضع يقتضي وجودهما معاً، ويستحيل تصور وجود أحدهما دون وجود الآخر.

والواقع أن الأحداث الكبرى التي عرفتها بلادنا في السنوات الأخيرة كانت مناسبة، موفقة لإعادة الهبة للمسجد وأخذ به عين الاعتبار في إعادة تأليف وحدة المجتمع: فكان وضع قانون الأوقاف موضع التنفيذ...

- وكانت عملية طبع المصحف الشريف بإذن السيد رئيس الجمهورية اليمين زروال سنة 1998؛ والرئيس عبد العزيز بوتفليقة سنة 2003.

- وكان تنظيم أسبوع القرآن الكريم حيث تلتقي مختلف شرائح المجتمع بالسيد رئيس الجمهورية.

- وكانت التجمعات التي نظمها مع العاملين في المساجد واللجان الدينية في الولايات؛

- وكانت عملية إعادة تشكيل اللجان الدينية وحصر نشاطها في خدمة المسجد وليس في تسييره .

- وكانت حملة شرح الوثام المدني فرصة ثمينة لتحميل المسجد مهمة الاندماج والدعوة إلى وحدة الأمة.

إن مثل هذه العمليات وغيرها جعلت المسجد يعي دوره ويتحمل رسالته في كل ما هو وطني، وهكذا هب المسجد في إطار التضامن الاجتماعي بالمساهمة في الجهود الوطني في بعض المناسبات، والتي نخص بالذكر منها :

- إثر زلزال عين تموشنت بتاريخ : 22 ديسمبر 1999

حيث نظمت المساجد جمع التبرعات في شكل هيئة وطنية وصبت تلك التبرعات كلها في حساب مؤسسة المسجد تحت رقابة لجنة مؤلفة من الولاية والأمن والشؤون الدينية، وكانت حصـيلتها 30.261.495,35 دج استعملت في إعادة بناء المساجد والزوايا

المتضررة من الزلزال. وتم ذلك طبقا للتعليمات الوزارية رقم 12 بتاريخ أول فيفري 2000.

- وإثر فيضانات باب الواد، قامت المساجد بحملة تضامنية وطنية في نفس الشروط النظامية وصبت الأموال التي بلغت 62.373.677,50 دج في صندوق واحد وسلمت كلها إلى وزير التضامن بمقتضى صك بنكي رسمي. وهذا بالإضافة إلى المبالغ التي صبت مباشرة في حساب الإعانات التي جمعت في إطار الولايات.

- وقد ساهمت في هذه المناسبة حتى المساجد المفتوحة في المهجر بمبلغ 1.584.164,80 دج ودفع إلى صندوق التضامن.

- وإثر زلزال 21 ماي وما انجر عنه من مأس، أصدرنا تعليمات إلى السادة مديري الشؤون الدينية والأوقاف في الولايات للقيام بنفس المهمة تحت إشراف السادة الولاة... وسوف تجمع المبالغ المحصل عليها لتدفع بدورها إلى وزارة التضامن والتشغيل.

إننا بهذه الطريقة لا نخرج المسجد من المساهمة في الجهد الاجتماعي، وفي نفس الوقت نمنع ذوي الأغراض غير السليمة من التلاعب بالمساجد وتوجيه نشاطها

والديناميكية المتوفرة عليها إلى ما يضر
بالمصلحة العليا للوطن.
إننا لا نملك أن نكف المسجد عن
العمل والنشاط مادام جزءاً لا يتجزأ من
المجتمع، وكل ما نستطيع القيام به هو
توجيه العمل فيه والنشاط إلى ما يخدم
المصلحة العليا للوطن.

الهوامش

(1) سورة الأعراف/ الآية 172.

(2) سورة آل عمران/ الآية 77.